

المكون الديني والثقافي في تأسيس المركزية الغربية
الجدور العقيدية والفكرية

The Religious and Cultural Component in the Formation of Western-
centrism: Doctrinal and Intellectual Roots

[10.35781/1637-000-152-005](https://doi.org/10.35781/1637-000-152-005)

الباحث/ علي عماش محمد عسيري*

*باحث في مرحلة الدكتوراه – قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
كلية الشريعة وأصول الدين – جامعة الملك خالد

ملخص البحث:

والخلاص في تأسيس وعي مركزي يرى الغرب في موقع التميز والقيادة. كما تناول البحث دور الجدور الفكرية الحديثة، ولا سيما العلمانية والنزعة العرقية، في إعادة إنتاج هذه التصورات ضمن أطر عقلانية وقومية، أسهمت في ترسيخ المركزية الغربية في الفكر والممارسة، ويخلص البحث إلى أن المركزية الغربية ظاهرة فكرية وحضارية مركبة، تشكلت عبر تفاعل الجدور العقيدية مع التحولات الفكرية الحديثة، وتجسدت في الاعتقاد بفرادة التاريخ الغربي، ونزعة الهيمنة، وتقديم الحضارة الغربية بوصفها معياراً للعقل والتقدم، مما يستدعي قراءة نقدية تتجاوز التفسيرات الاختزالية، وتستحضر البعد العقدي والثقافي في فهم هذه الظاهرة.

الكلمات المفتاحية: المركزية الغربية،
العلمانية، النزعة العرقية

يهدف هذا البحث إلى دراسة المكون الديني والثقافي في تأسيس المركزية الغربية، من خلال الكشف عن جذورها العقيدية والفكرية، وبيان دورها في تشكيل الوعي الغربي بذاته وبالأخر، وينطلق البحث من فرضية مفادها أن المركزية الغربية لا يمكن تفسيرها اعتماداً على العوامل المادية أو السياسية وحدها، بل تقوم في بنيتها العميقة على تصورات عقيدية وثقافية مترابطة، ولتحقيق هذا الهدف، اعتمد البحث على المنهج التحليلي النقدي، مع الإفادة من المنهج التاريخي في تتبع تطور المكونات الدينية والثقافية للمركزية الغربية وبيان تفاعلها عبر السياقات المختلفة، ضمن مقارنة حضارية تفسيرية تتجنب التفسير الأحادي، وقد عالج البحث الإشكالية من خلال ضبط مفهوم المركزية الغربية وبيان سماتها العامة، ثم تحليل دور الجدور العقيدية، ممثلة في المكونين اليهودي والمسيحي، حيث أسهمت عقائد الاصطفاء والتفوق

The Religious and Cultural Component in the Formation of Western-centrism: Doctrinal and Intellectual Roots

Researcher/ Ali Ammash Mohammed Asiri

Abstract

This study examines the religious and cultural constituents of Eurocentrism by uncovering its theological and intellectual roots and analyzing their role in shaping Western self-consciousness and its perception of the "Other." The research is grounded in the premise that Eurocentrism cannot be adequately explained through material or political factors alone; rather, its deep structure is embedded in accumulated theological and cultural constructs.

Methodologically, the study adopts a critical analytical approach, complemented by a historical perspective that traces the evolution of Eurocentrism's religious and cultural components. This analysis is situated within a civilizational interpretive framework that eschews reductionist and monocausal explanations.

The study addresses the research problem by first conceptualizing Eurocentrism and outlining its principal characteristics. It then examines the role of theological roots—specifically within the Judeo-Christian tradition—demonstrating how doctrines of divine election, superiority, and salvation contributed to the construction of a

centric worldview that positions the West as a locus of distinction and leadership. Furthermore, the research explores the role of modern intellectual paradigms—particularly secularism and racialism—in rearticulating these theological assumptions within rationalist and nationalist frameworks, thereby reinforcing Eurocentrism in both theory and practice.

The study concludes that Eurocentrism represents a complex intellectual and civilizational phenomenon shaped through the interaction between doctrinal legacies and modern intellectual transformations. This phenomenon manifests in beliefs in Western historical exceptionalism, hegemonic orientations, and the presentation of Western civilization as a universal standard of reason and progress. Accordingly, understanding Eurocentrism requires a critical reading that transcends reductionist interpretations and foregrounds the religious and cultural dimensions integral to its formation.

Keywords: Western-centrism, Secularism, Racialism.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفضل الخلق أجمعين، نبينا محمداً وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد أصبحت المركزية الغربية مفهوماً محورياً في الدراسات الحضارية المعاصرة، لفهم موقع الغرب في العالم الحديث وطبيعة علاقته بالآخر غير الغربي، وغالباً ما تُفسر هذه المركزية من خلال عوامل مادية، مثل التفوق العلمي أو التوسع الاستعماري، غير أن هذا التفسير -على أهميته- يظل ناقصاً ما لم يُنظر إلى الأسس الدينية والثقافية التي أسهمت في تشكيل الوعي الغربي بذاته وبالعالم.

وقد نشأت هذه المركزية ضمن سياق تاريخي وفكري طويل، تشكل من تصورات عقيدية يهودية ومسيحية، ثم أعيد إنتاجه في صيغ فكرية لاحقة، مثل العلمانية والنزعة العرقية، وأسهم تفاعل هذه المكونات في بناء تصور غربي يرى ذاته مركزاً للتاريخ والحضارة، ويعيد تعريف الآخر في موقع الهامش أو التابع، ومن هنا، يتجه هذا البحث إلى دراسة المكون الديني والثقافي في تأسيس المركزية الغربية، من خلال تتبع جذوره العقيدية والفكرية، وبيان دوره في تشكيل هذا الوعي المركزي.

إشكالية البحث:

تتمثل إشكالية البحث في الكشف عن دور المكون الديني والثقافي، بجذوره العقيدية والفكرية، في تأسيس المركزية الغربية، من خلال إسهام اليهودية والمسيحية من جهة، والعلمانية والنزعة العرقية من جهة أخرى، في بناء وعي غربي يتمركز حول ذاته ويعيد تعريف الآخر، ويمكن اختصار هذه الإشكالية في التساؤل التالي: ما دور المكون الديني والثقافي في تأسيس المركزية الغربية؟

أسئلة البحث:

يحاول البحث الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ما دور الجذور العقيدية اليهودية والمسيحية في تشكيل وعي التفوق والاصطفاء الغربي؟
- ما دور العلمانية في إعادة صياغة هذا الوعي في إطار فكري وقيمي جديد؟
- ما دور النزعة العرقية ترسيخ المركزية الغربية وإقصاء الآخر غير الغربي؟

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

- بيان دور الجذور العقيدية اليهودية والمسيحية في تأسيس المركزية الغربية.
- الوقوف على دور العلمانية في ترسيخ المركزية الغربية على مستوى الفكر والقيم.
- توضيح دور النزعة العرقية في تكريس التفوق الغربي وإقصاء الآخر.

منهج البحث:

يعتمد البحث على المنهج التحليلي النقدي، مع الاستفادة من المنهج التاريخي في تتبع تطور المكوّنات الدينية والثقافية للمركزية الغربية، وبيان تفاعلها عبر السياقات المختلفة، ضمن مقاربة حضارية تفسيرية تتجنب التفسير الأحادي.

الدراسات السابقة:

1. كتاب: المركزية الغربية: إشكالية التكوّن والتمركز حول الذات - عبد الله إبراهيم

تناول الكتاب مفهوم المركزية الغربية من حيث تشكّلها التاريخي والفكري، إذ ركّز على تحليل آليات التمركز حول الذات، ونقد الأسس الفلسفية والثقافية التي أسهمت في بناء الوعي الغربي، ولا سيما ما يتصل بالمعجزة الإغريقية، والتأصيل العرقي، وأيديولوجيا التفاوت، واختزال الآخر، وعلى الرغم من عمق المعالجة الفكرية التي قدّمها الكتاب، فإن اهتمامه انصبّ أساساً على البنية الفكرية والخطابية للمركزية الغربية، دون تخصيص دراسة مستقلة لدور الجذور الدينية المسيحية واليهودية، أو بيان آليات انتقالها وإعادة إنتاجها في السياق الفكري الحديث، وهو ما يسعى هذا البحث إلى استكماله.

2. دراسة: النزعة المركزية الغربية في الدراسات الاستشراقية - سيلا أحمد سالم عسيري

تناولت هذه الدراسة النزعة المركزية الغربية في الدراسات الاستشراقية، من خلال تحليل طريقة تناول الغرب للعالم الإسلامي وتاريخه، وبيان أثر هذه النزعة في تشكيل صورة نمطية عن الإسلام وحضارته. وقد أسهمت الدراسة في إبراز البعد المعرفي والمنهجي للمركزية الغربية في الخطاب الاستشراقي، غير أنها ظلّت محصورة في إطار التطبيق الاستشراقي، ولم تتوسّع في تحليل الجذور العقيدية والفكرية التي أسهمت في تكوين هذه النزعة قبل تجليها في الحقل الاستشراقي، وهو ما يتجاوزه هذا البحث عبر مقارنة أعمق لأصول التمركز الغربي.

3. رسالة: المركزية الغربية وتناقضاتها مع حقوق الإنسان - عبد اللطيف بن عبد الله الغامدي ركزت هذه الرسالة على دراسة المركزية الغربية من زاوية حقوق الإنسان، من خلال الكشف عن التناقض بين الخطاب الغربي الكوني والممارسات السياسية والحقوقية، وتحليل الآليات التي أُعيد من خلالها تأطير حقوق الإنسان وفق الرؤية الغربية. وعلى الرغم من إسهام الرسالة في إبراز البعد الحقوقي والسياسي للمركزية الغربية، فإنها انطلقت من مرحلة متقدمة من تشكّل الظاهرة، دون التعمّق في دراسة الجذور العقيدية والفكرية التي أسهمت في تأسيس هذا التمرّكز قبل تحوّلِهِ إلى خطاب حقوقي عالمي، وهو ما يعمل هذا البحث على معالجته.

ومن خلال ما سبق، يتبيّن أن هذا البحث يختلف عن الدراسات السابقة في تركيزه على دراسة دور الجذور العقيدية الدينية (اليهودية والمسيحية) والجذور الفكرية الحديثة (العلمانية والنزعة العرقية) في تأسيس المركزية الغربية، بوصفها مرحلة تأسيسية سابقة على تجلّيّاتها الخطابية والسياسية والحقوقية.

تبويب البحث:

مدخل مفاهيمي: مفهوم المركزية الغربية وسماتها العامة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم المركزية الغربية

المطلب الثاني: السمات العامة للمركزية الغربية

المبحث الثاني: دور الجذور العقيدية للمركزية الغربية، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المكوّن اليهودي

المطلب الثاني: المكوّن المسيحي

المبحث الثالث: دور الجذور الفكرية للمركزية الغربية، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المكوّن العلماني

المطلب الثاني: المكوّن العرقي

الخاتمة

النتائج

تمهيد :

تُعدّ المركزية الغربية ظاهرة فكرية وحضارية أسهمت في تشكيل وعي الغرب بذاته وبالعالم ، وفي تحديد موقعه بوصفه مرجعاً للتاريخ والتقدم والمعرفة ، وقد تجلّت هذه المركزية في أنماط التفكير والخطاب المعرفي، وفي تصنيف الحضارات والثقافات ، بما أفضى إلى ترسيخ رؤية ترى الغرب في موقع المركز، وتُعيد تموضع غيره في دائرة الهامش أو التبعية.

وانطلاقاً من ذلك، يتجه هذا البحث إلى دراسة المكوّن الديني والثقافي في تأسيس المركزية الغربية، عبر ضبط مفهوميها وبيان سماتها العامة، ثم تحليل جذورها العقيدية والفكرية، ضمن مقارنة تحليلية نقدية تسعى إلى فهم الظاهرة في بنيتها الكلية، في ضوء الرؤية الإسلامية للإنسان والحضارة.

المدخل المفاهيمي:

يتناول هذا المدخل ضبط مفهوم المركزية الغربية وبيان سماتها العامة، بما يحدّد الإطار المفاهيمي للبحث، ويمهّد للانتقال إلى دراسة دور جذورها العقيدية والفكرية في المباحث اللاحقة.

المطلب الأول: مفهوم المركزية الغربية

تعددت التعريفات التي تناولت المركزية الغربية عند الباحثين بتعدد وتنوع زوايا الرؤى، والجوانب التي تناولوا الحديث عنها، فهناك من يربط بين المركزية الغربية وبين مفهوم الغرب السابق عليها، حيث يرى أن الغرب قد اختزل في صفات وخصائص عرقية، وحضارية ودينية خاصة به، وكانت ركائز هويته¹، وتلك الأسس التي شكّلت هوية الغرب هي التي قام عليها مفهوم المركزية الغربية بعد ذلك، حيث قام هذا المفهوم على "إعادة إنتاج مكونات تاريخية توافق رؤيته، معتبرا إياها جذورا خاصة به، ومستحوذا في الوقت نفسه على ما في الحضارات الأخرى من إسهامات حقيقية لصالح البشرية، وكل هذا أدى إلى ممارسة الإقصاء لكل ما هو ليس غريبا"²، ومن خلال هذا التعريف نجد أن المركزية الغربية تستند إلى التاريخ من جهة، وتنسب إلى الغرب، وتقصي كل ما هو خارج عن هذا السياق الغربي من جهة أخرى.

وقريب من هذا التعريف تعريف آخر للمركزية الغربية، حيث عرّفت بأنها رؤية ثقافية وحضارية تفترض تفوق النموذج الغربي، وتعتبر أن المسار التاريخي والتطور الاجتماعي الذي اتبعه الغرب هو المسار النموذجي الذي يجب أن تسير عليه جميع المجتمعات، وترتكز هذه النظرة على اعتبار القوانين والمعايير الغربية هي الأكثر ملاءمة وشمولية³، وهنا تتجلى المركزية في اعتبار أن النموذج الغربي للتطور هو النموذج الأوحّد في المسار البشري، وأنه لا يمكن أن تتطور المجتمعات حضاريا إلا من خلال هذا النموذج.

وهناك من عرّفها من خلال أساسها الإقصائي للآخر الذي لا ينتمي إلى العرق الأوروبي، أو الديانة المسيحية، ويرى هذا الاتجاه أن إخضاع الآخر المختلف عن الثقافة الغربية يكون من طريقتين: السيطرة الاستعمارية، وذلك عن طريق الاستيلاء على الشعوب المختلفة، والسيطرة على خيالاتها، وهويتها، وكذلك السيطرة الدينية، وذلك عن طريق نشر المسيحية في البلاد المستعمرة، وترغيب

¹ المركزية الغربية، إشكالية التكون والتمركز حول الذات، عبد الله إبراهيم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب الطبعة: الأولى، 1997م ص13

² المرجع نفسه، ص13

³ نحو نظرية للثقافة نقد التمرکز الأوروبي والتمرکز الأوروبي المعكوس، سمير أمين، معهد الإنماء العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى: 1989م ص75-76

الشعوب المختلفة عن طريق الهبات والمساعدات¹، ويظهر من هذا التعريف تأكيده على الجانب الديني، والجانب العرقي، اللذين أديا إلى التبشير بنشر المسيحية التي تنفرد بمقوماتها، التي لا توجد لدى الأديان الأخرى، وكذلك الاستعمار الذي يقوم به الرجل الأبيض الأنقى عرقيا على سائر الأجناس، والأعراق.

وهناك من عرّف المركزية الغربية من خلال الممارسات التي يفرضها الغرب على باقي بلدان العالم، فهي تعني "الممارسات الواعية أو غير الواعية، التي تركز على فرض الحضارة والمصالح الغربية عموما، في جميع مجالات الحياة على حساب باقي الثقافات والحضارات والشعوب، وبكل الوسائل المشروعة وغير المشروعة"²، ويظهر في هذا التعريف الممارسة العملية للمركزية الغربية، وذلك من خلال الهيمنة وتمدد النفوذ، وفرض حضارة واحدة تقوم بتقييم سائر الحضارات، بأدواتها الثقافية، التي ترى أحقيتها لأن تكون مركز العالم بما تحويه من منجزات حضارية، وعلمية، وصناعية غيرت مسار التاريخ الإنساني.

¹ النزعة المركزية الغربية في الدراسات الاستشراقية، دراسة تحليلية نقدية، الباحثة: سيلأ أحمد سالم عسيري، جامعة الملك خالد، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات الإسكندرية، العدد: الثامن والثلاثون، الإصدار الثاني. ص 452-453

² المركزية الغربية وتناقضاتها مع حقوق الإنسان، عبد اللطيف بن عبد الله الغامدي، مركز تأصيل للدراسات والبحوث، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: 1435هـ/2014م

المطلب الثاني: سمات المركزية الغربية:

تتجلى المركزية الغربية في جملة من السمات العامة التي تعبر عن طبيعة الوعي الغربي بذاته وبالعالم، وتكشف عن الجوانب التي قام عليها تمركزه الحضاري، ومن أبرز هذه السمات: الاعتقاد بفردة التاريخ الغربي بوصفه المسار النموذجي للتقدم الإنساني، والسعي إلى الهيمنة وتمديد النفوذ على المستويات الفكرية والسياسية والثقافية، ثم تقديم الحضارة الغربية باعتبارها حضارة العلم والعقل والمعيار الأعلى للمعرفة، ويُسهم الوقوف على هذه السمات في فهم الكيفية التي تشكلت بها المركزية الغربية وترسّخت في الفكر والممارسة.

أولاً: الاعتقاد بفردة التاريخ:

وهذا الاعتقاد هو سمة بارزة في الفكر الغربي، حيث يفترض أن التجربة التاريخية لأوروبا استثنائية ونموذجية، وقد كان لهيكل الدور البارز في تأسيس هذه الرؤية، وهو المنظر الأكبر في القرن التاسع عشر، حيث يرى أن "الحضارات تعاقبت الواحدة بعد الأخرى منذ القدم، إلى أن زالت جميعها ولم يبق منها سوى حضارة واحدة"، هي بروسيا فنمو حضارة بروسيا، والحضارة الأوروبية بعد ذلك، يمثل خلاص العالم بأسره¹، وقد انعكست هذه الرؤية على المؤرخين الذين ادعوا السير على درب هيجل² بحيث اعتبروا أن أوروبا، كانت ولا تزال، مركز تاريخ العالم، وأصبحت المركزية الأوروبية بالتالي هي النموذج البحثي السائد، في دراسات تاريخ العالم³.

إن نظرة المركزية الغربية للتاريخ تُبرز ما تقوم عليه هذه المركزية من تحيز للذات، فهي لم تكثف بتوصيف تاريخ الغرب بما لديها من أدوات، شأنها شأن أي حضارة أخرى تبحث في تاريخها، بل تجاوزت ذلك إلى احتكار التاريخ بأدواتها التقييمية الخاصة، وإلى تقسيم التاريخ والحضارات القديمة حسب رؤيتها، فتصف "الحضارات القديمة التي لا تتوافق مع رؤيتها بالتاريخ الساكن،

¹ ما بعد المركزية الأوروبية، بيتر جران، ترجمة: عاطف أحمد، إبراهيم فتحي، محمود ماجد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى: 1998م، ص22

² يُعد الفيلسوف الألماني فردريك هيجل (1770م - 1831م) من الأعمدة الكبرى للفلسفة الغربية، وقد أثر كثيرا فيمن جاء بعده من الفلاسفة، بدأ حياته في السياق اللاهوتي لكنيسة، حيث حصل على أھلية اللاهوت، ولم يمارس مهنة القسيس لأنه لم يبد أي ميل إلى هذه المهنة، فقد اشتغل بالسياسة منذ حياته المبكرة، وكان أول كتاب طبعه كتابا سياسيا، يحل فيها الأوضاع السياسية المتردية في بلاده، ولم ينشر هيجل بنفسه سوى عدد قليل من كتبه، أبرزها (فلسفة الروح) و(فلسفة القانون) بينما قام تلاميذه من بعده بجمع مذكراته، ومحاضراته بعد وفاته، شملت هذه المحاضرات، موضوعات متعددة منها: فلسفة التاريخ، وفلسفة الدين، وتاريخ الفلسفة، وعلم الجمال، وغيرها من المؤلفات. موسوعة الفلسفة، الجزء الثاني، عبد الرحمن بدوي، العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2019م، ص570

³ ما بعد المركزية الأوروبية، بيتر جران، مرجع سابق، ص22

والمقصود بالتاريخ الساكن كما يقول كلود ليفي شتراوس¹ : هو الذي يكون خط تطوره لا يعني شيئاً بالنسبة للغرب، أي أنه غير قابل للقياس في حدود نظام المرجع الذي يُستعمل في التقييم².

ونتيجة لهذا فإنه يتم النظر إلى الثقافات الأخرى غير الغربية في التاريخ البشري من خلال الأدوات التي يحددها الغرب، وتتوافق مع رؤيته وحضارته، ومن ثمّ يتم استبعاد الثقافات، والحضارات التي لا تتسجم مع التقييم الحالي، ونتيجة لهذا فإن ما وافق الحضارة الغربية، وأدوات تقييمها فإنه يكون محلاً للدراسة والتحقيق، والاستفادة.

وهذه الرؤية التي يمارسها الاعتقاد بفرادة التاريخ الغربي، مقارنة بغيره، هي رؤية مستمدة من الأسلاف في التاريخ الأوروبي، فقد كان اليونانيون يسمون ما لا يتفق مع ثقافتهم بالبربرية، على سبيل الانتقاص، وامتد الحال إلى المركزية الغربية حيث استعمل تعبير (التوحش) للدلالة على المعنى نفسه، وكأن غير الغربي قد جاء من الغابة، وهذا فيه إشارة إلى الحياة الحيوانية في مقابل الثقافة الإنسانية³، وفي كل التوصيفين القديم والجديد، يتم رفض القبول والتنوع لمظاهر الحياة والثقافات.

ومما يتصل بهذا الجانب في قضية الإقصاء لكل ما هو خارج التاريخ الغربي؛ التحكُّم في إطلاق المصطلحات، ومن ذلك (التاريخ العام) عند الحديث عن التاريخ، وليس المقصود هنا الحديث عن تواريخ الشعوب الأخرى، مما يؤدي إلى الاعتراف بها، والانفتاح عليها، بل المقصود هو الحديث عن التاريخ الأوروبي تحديداً، بوصفه تاريخاً للعالم كافة، حيث انتقل التاريخ الأوروبي من تاريخ خاص بمنطقة جغرافية كسائر بلاد الأرض، إلى كونه تاريخاً للبشرية كلها⁴.

وهنا يُطرح هذا التساؤل: كيف يمكن أن تُفسر كثيرٌ من الأحداث والمواقف والتغيرات والتطورات، التي ظهرت في حضارات أخرى في تاريخ البشرية، وقد يكون لبعضها انعكاسات على واقع بعض المجتمعات البشرية اليوم؟ أو تكون هي نفسها - أعني هذه الحضارات في التاريخ - قد كان لها حضورها في زمنٍ من الأزمنة؟ وقد يكون هناك استمدادات لها في الحضارة المعاصرة؟

¹ وهو في الحقيقة ينتقد هذه الفكرة التي تقسم التاريخ إلى تاريخ ساكن متوقف وآخر تجميعي متحرك، لأنه من الممكن حسب رأيه أن يكون هذا الجمود هو ما يراه المراقب وليس على حقيقته، فقد تكون هناك منافع في غير الإطار الذي يُوّطر رؤية المراقب، ويقصد بالمراقب هنا الغرب، ص 34 التاريخ والعرق لمؤلفه.

² العرق والتاريخ: كلود شتراوس، ترجمة: سليم حداد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، بدون سنة طبع ص 30

³ المرجع نفسه، ص 12 - 13

⁴ في دلالة الفلسفة وسؤال النشأة د. الطيب بو عزة، نماء للبحوث والدراسات، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية: 2021م ص 158

والجواب هنا يتضح في خط مسار المركزية الغربية الذي يقصي كل ما هو خارج السياق الغربي، حتى ولو كان التاريخ نفسه! فالفكرة السائدة لدى كثير من رواد المركزية الغربية، تذهب إلى أن تاريخ العالم لا يمكن أن يفهم إلا على ضوء التطورات الراهنة لتاريخ أوروبا، حيث تتمحور حول المركزية الأوروبية نخبُ تواريخ الأقاليم الأخرى¹، فالباحثون الغربيون يرون في التاريخ الأوروبي النموذج الذي تُدرس من خلاله تواريخ المجتمعات الأخرى، باعتبار أن هذا النموذج هو خط القياس الوحيد الذي يمكن أن يفهم من خلاله التاريخ.

ثانياً: الهيمنة وتمدد النفوذ:

وهذه السمة هي نتيجة طبيعية للرؤية المتمركزة حول الذات، فالغرب الذي يختزل التاريخ، والدين، والعرق، في منظومته الفكرية والعقدية، لا بد أن يتجلى هذا التمرکز في الواقع من خلال ممارسة الهيمنة، والتمدد، والسيطرة.

فالتاريخ -على هذه الرؤية- ينبغي أن يظل توصيفا للأحداث الكبرى لهذه الهيمنة الغربية، ولهذا نجد أن الدرس الفلسفي، والجانب السياسي مرتبطان إلى حد كبير بأحداث أوروبا، وأمريكا من بعدها، من مطلع القرن العشرين، وحتى وقتنا الحاضر، "فأوروبا وأمريكا ظلا يعملان على أنهما القوى المهيمنة في العالم، وبالتالي فقد كان من المنطقي - حسب رؤية المركزية الغربية - أن يرتكز تاريخ العالم على سرد الأحداث السياسية، والدبلوماسية العظمى التي أثرت عليهما، أما بقية أجزاء العالم فقد ظلت مجرد تابع لأوروبا وأمريكا"².

لقد عمدت المركزية الغربية إلى تقسيم العالم إلى قسمين: الغرب من جهة، وبقية العالم من جهة أخرى، وهذا مؤشر على الإرادة والتصميم من أجل الهيمنة، وتمدد النفوذ، والسيطرة، باسم الحداثة والتحديث، لأن الغرب كما يقول هنتجتون هو مرادف لكلمة الحداثة³، وهناك كلمات أخرى مثل: السوق الحر، والديموقراطية، والفردية، تؤكد هذا الترادف، ويقول في سياق آخر: "إن الحضارة الغربية حديثة وغربية" أي أن التحديث هو التغريب، ومن ثم فإن من يود أن يُحدث فليغرب، وهو يقتبس باستحسان بالغ كلمات نابول الكاتب الجامايكي الذي تخصص في تأليه الغرب، وتجريح العالم الثالث، ومنه وطنه الأم: الهند، فيقول: "إن الحضارة الغربية هي الحضارة العالمية التي

¹ ما بعد المركزية الأوروبية، بيتر جران. مرجع سابق، ص 5

² المرجع نفسه، ص 23

³ الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، عبد الوهاب المسيري، دار الفكر، دمشق - سوريا، الطبعة السابعة، 2018م ص 163

تناسب كل الناس"¹، ومعنى ذلك أن الحضارة الغربية حالة طبيعية، ومن ينحرف عنها فهو إنسان مختلف، وعلى الرغم من شمولية هذه الحضارة، وعالميتها إلا أنها من خلال هذه الرؤية متمركزة حول ذاتها، وترى الآخرين هوامش وأطراف.

ولم يغيب عن ذهنية المركزية الغربية أن الواقع الذي تريد أن تتحكم فيه من خلال إرادتها؛ يحتاج إلى مفاهيم وصياغات معينة لتكون هي التي تحرك الفكر، فيكون له أثر في واقع المجتمعات أو ما تسميه بالهامش والأطراف، فالمركزية الغربية قد استندت في ممارستها إلى "مجموعة من الرؤى ذات الطابع الثقافي، ولما كان الغرب ذا خبرة بصناعة المفاهيم وتسويقها فقد كان كفيلاً دائماً ببث هذه المفاهيم في الواقع المعاصر"²، ولذا فإن المصطلحات والمفاهيم التي قامت المركزية الغربية ببثها في عالم اليوم؛ قد رافقت جنباً إلى جنب ولادة العصر الحديث من قبل، والذي كان الغرب يتمكن خلاله من ميادين المعرفة، والكشوفات الجغرافية، وانبثاق العالم الصناعي، واستمراراً ذلك التطور، إلى التمكن العسكري، والاقتصادي، والتكنولوجي في الوقت الحاضر.

ومما يؤكد سمة الهيمنة وتمدد النفوذ، ما يُطلق عليه اليوم بالنظام العالمي، حيث انبثقت فكرته في سياق غربي خالص، تحت ذرائع حددتها الدول الغربية إبان صراعاتها، ثم مع التمدد، والقوة، والهيمنة، أصبح النظامُ نظاماً عالمياً تلتزم به كل الدول التي هي - حسب الرؤية الغربية - ترى أن المآخذ الذي تأخذه على البلدان المتقدمة "ليس سعيها لتغريبها وإنما عدم إعطائها بالسرعة الكافية الوسائل التي تمكنها من التغرُّب، s,occidentaliser"³.

والمحرك الأساس لهذا النظام هو هيمنة (Hegemony) الدول الغربية، وعلى رأسها اليوم الولايات المتحدة الأمريكية على النظام العالمي، وذلك من الناحية السياسية والعسكرية والاقتصادية، وانفرادها بقيادة العالم، والتصرف بصورة فردية دون حاجة للحلفاء؛ وذلك بدلاً من القطبية الثنائية السابقة، ولتأكيد التأثير الأمريكي الذي ما زال يُعتبر الأقوى على الجانب السياسي والعسكري والثقافي⁴.

¹ الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، عبد الوهاب المسيري، مرجع سابق، ص163

² نقد كونيّة المركزية الغربية، شياخاوي لخضر، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، مجلة التدوين، المجلد الثاني عشر، العدد الثاني، 2020م، ص244

³ العرق والتاريخ كلود شتراوس، مرجع سابق، ص39

⁴ فلسفة التحول والانتقال إلى النظام العالمي الجديد، د. مرزوق بن مطلق الرويس، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: 1442هـ ص37

ثالثاً: حضارة العلم والعقل:

يؤكد دعاة التمركز الغربي على أن الحضارة الغربية تمثل النموذج الفريد في مجالات العلم والعقلانية، ويعود هذا المفهوم إلى عصر النهضة والتنوير، اللذين شهدا صعود أوروبا كمركز للبحث العلمي، والفكر الفلسفي، وعلى مدار القرون اللاحقة، أصبحت الحضارة الغربية النموذج الأعلى للتقدم الحضاري، وخاصة في مجالات المعرفة العلمية، والتفكير العلمي.

ففي القرن السابع عشر، وضع رينيه ديكارت أسس العقلانية الحديثة من خلال فلسفته التي أعطت الأولوية للعقل على التجربة، حيث أعلن ديكارت مقولته الشهيرة "أنا أفكر، إذاً أنا موجود" مؤسساً لفكرة أن العقل هو الوسيلة الوحيدة للوصول إلى الحقيقة، وناقش ديكارت كيفية وصول العقل إلى الحقيقة دون الحاجة إلى الاعتماد على الحواس أو الخبرة الحسية، فيصرح قائلاً "كل ما تلقيته حتى اليوم، وآمنت بأنه أصدق الأشياء وأوثقها؛ قد اكتسبته من الحواس، أو بواسطة الحواس، غير أنني جربت هذه الحواس في بعض الأحيان فوجدتها خداعة؛ ومن الحكمة ألا نطمئن كل الاطمئنان إلى من خدعونا ولو مرة واحدة"¹، وبهذا، فتح الطريق أمام نهج جديد في التفكير يعتمد على الشك المنهجي والتجريب العقلي للوصول إلى يقين مطلق.

وفي الفترة نفسها، قدم (فرانسيس بيكون) تصوراً مختلفاً لكنه متكامل مع فلسفة ديكارت، حيث ركز بيكون، في كتابه (الأورغانون الجديد) على أهمية التجريب العلمي كأداة لفهم العالم، وأن ذلك يتم عن طريق الحواس لأنها هي التي توصل إلى اليقين، فيقول: "إن منهجي على الرغم من صعوبته في التطبيق، إلا أنه سهل في الشرح، منهجي هو أن نرسي درجات متزايدة من اليقين... أن نستمر في الأخذ بشهادة الحواس، ونساعدنا ونحصنها بنوع من التصويب"²، وهو يرى أنه بهذا المسلك يفتح مساراً جديداً للعقل أكثر وثوقية، حيث تعتمد هذه الطريقة على الإدراكات الأولى للحواس نفسها، وليس على المقدمات المنطقية التي يبدؤها العقل في عملياته المجردة³، ثم يشرح بعد ذلك بيكون في شذراته في تفسير الطبيعة، كيف أن التجربة الحسية، والتحقق من خلال الملاحظة، يمكن أن يؤدي إلى اكتشاف قوانين الطبيعة، مما يفتح الباب أمام التقدم العلمي، باعتبار أن الإنسان هو الموكل بفهم

¹ تأملات في الفلسفة الأولى، رينيه ديكارت، ترجمة: عثمان أمين، آفاق للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى: 2020م ص66

² الأورغانون الجديد، فرانسيس بيكون، ترجمة: عادل مصطفى، مؤسسة هنداي، بريطانيا، الطبعة الأولى، 2018م ص10

³ المرجع نفسه، ص10

الطبيعة وتفسيرها¹، وهذا المنهج العلمي الذي اقترحه سيكون شكل الأساس للعلوم الحديثة، وأدى إلى تحولات كبيرة في الطريقة التي يفهم بها البشر الطبيعة.

وفي القرن السابع عشر أيضاً، جاءت أعمال إسحاق نيوتن لتؤكد على دور العقل والتجربة معاً في صياغة قوانين الطبيعة، حيث وضع في كتابه (المبادئ الرياضية للفلسفة الطبيعية) قوانين الحركة والجاذبية، التي كانت نتيجة مزج دقيق بين التجربة الرياضية والتفكير العقلاني، وكيفية استخدام الرياضيات في تفسير حركة الأجسام والكواكب، مما كان له أثر كبير على تطور العلوم الفيزيائية.

ومن خلال هذه المنطلقات العلمية، وما تمخض عنها بعد ذلك في كافة المجالات؛ تم ترسيخ فكرة أن الغرب هو الرائد في مجالي العلم والعقلانية، وهذا التفوق الذي تم ادعاؤه، عزز مكانة الحضارة الغربية في التاريخ بوصفها الحضارة التي تقود البشرية نحو التقدم العلمي والتقني، وقد كان هذا التوجه سبباً في انتشار الأفكار العلمية والفلسفية الغربية في بقية العالم، حيث بدأت الحضارات الأخرى تتأثر بالمناهج العلمية، والعقلانية الغربية.

وأصبح في حكم المسلّم به عند دعاة المركزية الغربية "أن القبول بالحضارة الغربية كنموذج فريد وعالمي إذا لم يتم بالإرغام، فإن القبول سيتم من خلال الانجذاب الطبيعي إلى هذه الطاقة الكبيرة التي تتميز بها الحضارة الغربية، والتي تجعل بريقها وسطوتها تنتشر في عالم اليوم، بما في ذلك التمدن والرفاه للإنسان بالطريقة التي أوجدها الغرب في حضارته الراهنة"².

وبناء عليه، فإن هذه المركزية تتأسس على رؤية مخصصة للذات وللعالم، تتجلى في الاعتقاد بفرادة التاريخ الغربي، وفي نزعة الهيمنة وتمديد النفوذ، وفي تقديم الحضارة الغربية بوصفها حضارة العلم والعقل، وتمثل هذه السمات الإطار العام الذي تتحدد في ضوئه ملامح المركزية الغربية وتجلياتها المختلفة.

وانطلاقاً من هذا الإطار، ينتقل البحث إلى دراسة دور الجذور العقيدية في تأسيس المركزية الغربية، وذلك بتناول المكون اليهودي والمكون المسيحي، وبيان إسهامهما في تشكيل وعي التفوق والاصطفاء الذي قام عليه هذا التمركز الحضاري.

¹ الأورجانون الجديد، فرانسيس بيكون، ترجمة: عادل مصطفى، مرجع سابق، ص 13

² العرق والتاريخ: كلود شترواس، مرجع سابق، ص 41

المبحث الثاني: دور الجذور العقيدية للمركزية الغربية

أسهمت الجذور العقيدية في تشكيل الوعي الغربي بذاته وبالأخر، من خلال ما حملته من تصورات عن الاصطفاء والتفوق ومركزية الذات. ويبرز في هذا السياق أثر المكون اليهودي والمكون المسيحي في إرساء الأسس الدينية التي قامت عليها المركزية الغربية في مراحلها المبكرة.

المطلب الأول: المكون اليهودي:

بالنظر إلى الدين اليهودي، والحالة اليهودية عامة، نجد أن هذا المكون من أقدم المكونات الدينية التي أسهمت في تشكيل العقل الغربي، وقد لا يبدو هذا الأثر بارزاً في الشكل الظاهر، نظراً لتحولات الغرب اللاحقة نحو المسيحية ثم العلمانية، إلا أن التحليل التاريخي والفلسفي يكشف عن جذور يهودية عميقة في طريقة تفكير الغرب في ذاته وتاريخه ومصيره، ولقد شكّلت التصورات العقيدية اليهودية العميقة، والمساهمات الفكرية البارزة، والتغلغل المؤسسي الفاعل معاً، نُظْم رؤية، أثّرت في صياغة الملامح الفكرية، والسياسية والاجتماعية للغرب.

التصورات العقيدية والتاريخية:

إن فكرة التمايز عن الآخر، وادعاء الأفضلية، متجذرة في العقلية اليهودية، والمسيحية على حد سواء، والقرآن يخبرنا عن هذه العقيدة: «وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ» المائدة: 18 يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: "أي: نحن منتسبون إلى أنبيائه، وهم بنوه وله بهم عناية، وهو يحبنا، ونقلوا عن كتابهم أن الله تعالى قال لعبده إسرائيل: أنت ابني بكري، فحملوا هذا على غير تأويله، وحرّفوه"¹، ومن هذا المنطلق فإن العقيدة اليهودية تؤسس لفكرة التمييز الجماعي من خلال مفهوم (شعب الله المختار) وكلمة (شعب) لها دلالتها التاريخية، والعقدية في التصور اليهودي، حيث "وردت في جميع كتب التاريخ تقريباً التي نُشرت في إسرائيل كلمة الشعب"²، في محاولة لإضفاء الشرعية التاريخية، فمصطلح شعب يوحى بوجود وحدة تاريخية ممتدة عبر القرون، حتى لو لم يكن هناك كيان سياسي جامع، ومن هنا تنشأ السردية القائلة بأن اليهود ظلوا طوال تاريخهم شعباً واحداً

¹ تفسير القرآن العظيم، للإمام الحافظ عماد الدين أبي الغداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، المكتبة الإسلامية، القاهرة - مصر الطبعة الأولى: 1438م، ص47

² اختراع الشعب اليهودي، شلمود ساند، ترجمة: سعيد عياش، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، الطبعة الأولى: 2001م، ص49

رغم الشتات، وقد احتاجت العقلية اليهودية الحديثة، إلى استعادة التراث اليهودي المتجذر في القدم، والذي يقوم على فكرة "الانتماء بالوراثة إلى الشعب المختار"¹.

وعند النظر إلى النصوص المقدسة في أسفار العهد القديم نجد هذه العقيدة حاضرة في المخيال اليهودي، مما يكرّس هذا المفهوم المتحيز عن الجماعات البشرية الأخرى، فعلى سبيل المثال، ورد في سفر التثنية "أنتم أبناء الرب إلهكم.. شعبٌ مقدسٌ للربّ إلهكم الذي اختاركم له من بين جميع الشعوب التي على وجه الأرض"²، وهذا النص يعكس الرؤية العقيدية التي يقوم عليها التصور اليهودي للذات، إذ يُقدّم الشعب باعتباره في موقع النبوة الإلهية، وموسوماً بالقداسة، ومختاراً من بين جميع الأمم، وهذا التحديد يمنح الهوية اليهودية طابعاً استثنائياً يتجاوز الإطار الديني ليشكّل أساساً لرؤية التاريخ والوجود، ففكرة الاختيار لا تقف عند كونها علاقة روحية خاصة، وإنما تتحوّل إلى معيار يقاس به موقع الشعوب الأخرى، الأمر الذي يفضي إلى إقصاء الآخر وإعادة تعريفه بوصفه خارج دائرة القداسة والوعد.

وفي سفر الخروج نجد نصاً آخر يتبلور في سياق مترابط بين إقصاء الآخر من جهة، ثم الاصطفاء من الجهة الأخرى، كنتيجة للتكريم الإلهي لهذا الشعب، "وصعد موسى إلى الجبل لملاقاة الله، فناداه الرب من الجبل وقال له: قل لبني يعقوب بني إسرائيل: أرايتم ما فعلتُ بالمصريين وكيف حملتكم على أجنحة النسور وجئتُ بكم إليّ، والآن إن سمعتم كلامي وحفظتم عهدي، فإنكم تكونون شعبي الخاص بين جميع الشعوب، فالأرض كلها لي، وأنتم تكونون لي مملكة كهنة، وأمة مقدسة"³، وفي سفر التكوين، نصٌّ آخر أيضاً يعزز جانب الإقصاء للآخر، حيث يحكي النص موقف طرد هاجر وإسماعيل بعد أن فطّم إسحاق، "ورأت سارة ابنَ هاجر المصرية الذي ولدته لإبراهيم يلعب مع ابنها إسحاق، فقالت لإبراهيم: اطرد هذه الجارية وابنها! فابن هذه الجارية لا يرث مع ابني إسحاق"⁴، فيُسْتَبْعَدُ إسماعيل ونسله من دائرة الميراث والوعد، ليبقى العهد الإلهي حكراً على إسحاق وذريته، وبهذا يترسّخ في الوعي الديني مفهوم الثنائية: (نحن) أبناء العهد والاختيار، في مقابل (الآخر) الذي يُقصى ويُدفع إلى الهامش، وهذا النمط من السردية يوفر الأساس اللاهوتي لفكرة شعب الله المختار، حيث لا يُنظر إلى الآخرين إلا بوصفهم خارج دائرة البركة.

¹ اختراع الشعب اليهودي، شلمود ساند، ترجمة: سعيد عياش، مرجع سابق ص45

² سفر التثنية، الإصحاح 14 الفقرة 2، 1

³ سفر الخروج الإصحاح 19 الفقرة 2-6

⁴ سفر التكوين، الإصحاح 21، الفقرة 10

التأثير الثقافي والقيمي:

يمكن فهم تشكُّل المعالم الفكرية للمركز الغربي، بالنظر إلى الدور الذي ساهم فيه المكون اليهودي عبر إسهامات مفكرين يهود، أسسوا تيارات فكرية، كان لها حضورها في المشهد الثقافي والفلسفي والاقتصادي والسياسي، ويبرز كارل ماركس 1818م كأحد المفكرين البارزين، في السياق الغربي، لا سيما فيما يتصل بالمجال الاقتصادي والسياسي والاجتماعي على حد سواء، ومع أن كارل ماركس قد خرجت أطروحاته، وأفكاره متأثرة بثقافة التنوير الأوروبي، إلا أنه وبشهادة المفكرين الغربيين أنفسهم لم يتحرر من إرثه اليهودي، فهذا "الناقد الأمريكي جورج شتاينر يرى يهودية ماركس واضحة في اتكائه على الموروث اليهودي في بعض أعماله"¹، ولهذا كان يرى أنه يؤدي رسالة حيوية لإصلاح البشرية، كما يفعل المصلحون، في أي دين من الديانات، فالبيئة التي كان يتحرك فيها بمشروعه الإصلاحية تعاني من الإقصاء للآخر، داخل إطار الطبقة التي جاء بمشروعه لمعالجتها، مع اعتبار أن هذا المشروع بنفسه أصبح أزمة في آخر المطاف في الدول التي تبنت الماركسية، وسيطرة ما يُسمى بالبروليتاريا - الطبقة العاملة - لكن المهم هنا هو الحديث عن الدور الذي أداه ماركس في السياق الفلسفي الغربي.

وكذلك نجد حضور سيغموند فرويد في الثقافة الغربية الحديثة في حقل علم النفس حضورا بارزا، حيث أسهمت نظرياته في علم النفس في إعادة تشكيل هذا الحقل العلمي ضمن الإطار المعرفي الغربي، ويؤكد الدكتور سعد البازعي هذا الحضور لفرويد في السياق الإنساني عامة، بقوله: "ليس من المبالغة أن نقول أن لسليغمووند فرويد اليوم حضورا في الثقافات الإنسانية يكاد يوازي حضوره المركزي في الحضارة الغربية التي كان وما يزال من أبرز أعلامها، فمن الحضارة الغربية جاءت التطورات الحديثة في علم النفس الذي يُعد فرويد أشهر باحثيه والمنظرين له"²، ومع كل هذه الإسهامات العلمية، والحضور الفلسفي والفكري في السياق الغربي، إلا أنه قد أشار إلى انتمائه اليهودي في أماكن، ومواضع متباينة، وقد صرح في بعض تلك المواضع بانتمائه اليهودي، كما أنه قدّم نفسه، في سيرته الذاتية بقوله: "كان والداي يهوديين، ولقد بقيت أنا يهوديا"³.

ومن الشخصيات كذلك جاك دريدا الذي شكّلت أفكاره التفكيكية نقطة تحول في الحياة الثقافية الغربية والأمريكية على وجه الخصوص، وأسهمت في إعادة رسم ملامح النقد الأدبي

¹ المكون اليهودي في الحضارة الغربية، سعد البازعي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، الطبعة الأولى: 2007م، ص104

² المرجع نفسه، ص275

³ المكون اليهودي في الحضارة الغربية، سعد البازعي، مرجع سابق، ص281

والفكري، فقد وُلد حضوره انقسامًا واسعًا بين النقاد، وأحدث انتقالًا نوعيًا من النقد الجديد إلى النقد ما بعد البنيوي، مما جعله أحد أبرز الوجوه التي أعادت صياغة الخطاب النقدي في النصف الثاني من القرن العشرين¹.

وهكذا، لم تكن هذه الإسهامات -التي هي في مقام الأمثلة وليس الحصر- مجرد إضافات ثانوية، بل حوّلت الهامش اليهودي إلى قوة دافعة، شاركت في بناء مركزية الغرب الفكرية، من خلال دمجها بين التراث والانتماء اليهودي، والحادثة الغربية.

الحضور المؤسسي:

يُعد الحضور المؤسسي لليهود في الغرب محوراً بالغ التعقيد ضمن سياق المركزية الغربية الحديثة، حيث تجلّت تأثيراتهم في ثلاث دوائر رئيسية:

1. دائرة البنى المالية والإعلامية: وذلك عبر مساهمات بارزة في النظام الرأسمالي ووسائل الإعلام المؤثرة، فقد برز التأثير اليهودي في الهياكل المالية والإعلامية الغربية عبر سياقات تاريخية معقدة، حيث أسهمت عوامل التهميش السابقة في العصور الوسطى في توجيه اليهود نحو مجالات الصيرفة والتجارة الدولية، مما رسّخ حضوراً لاحقاً في مراكز الرأسمال الحديثة، ومع تحرر المجتمعات الأوروبية في القرن التاسع عشر، انخرطت نخب يهودية في مؤسسات البورصة والتمويل العالمي، بينما ارتبطت مساهماتهم الإعلامية بتأسيس دور نشر رائدة، وإدارة شبكات إخبارية مؤثرة².

2. دائرة النخب الفكرية: وذلك بتأطير خطاب فلسفي وتعليمي عبر جامعات مرموقة وأسماء لامعة، فقد شكّل المفكرون اليهود رافداً حيويًا للفلسفة والعلوم الاجتماعية في الغرب منذ عصر التنوير، حيث تفاعلوا مع أزمات الحداثة من موقع المهّمّش الذي يقاوم الإثبات وجوده، ففي حلقات فيينا وبرلين وفرانكفورت، أعاد فلاسفة وعلماء مثل فرويد وفتجنشتاين وأدورنو، صياغة مفاهيم اللاوعي واللغة والنقد الاجتماعي، بينما حفر ألبيرت أينشتاين في أسس الفيزياء الكلاسيكية، وفي الأكاديميا، أدى اندماجهم المتسارع بعد الحرب العالمية الثانية إلى بروز أسماء لامعة في جامعات النخبة، مساهمين في تطوير مناهج العلوم الإنسانية وتفكيك الخطابات السلطوية، رغم استمرار تحديات الهوية والانتماء في فضاء الفكر الغربي³.

¹ المرجع نفسه، ص 356

² الحداثة والهولوكوست، ترجمة حجاج أبو جبر ودينا رمضان، مدارات للأبحاث والنشر، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى: 2014م، ص 113

³ المكون اليهودي في الحضارة الغربية، سعد البازعي، مرجع سابق، ص 219 - 223

3. دائرة الصياغة الأيديولوجية: وذلك عبر تفاعلهم مع تيارات لها حضورها السياسي والفكري، كالليبرالية والاشتراكية، إذ تتشكل دائرة الصياغة الأيديولوجية الغربية من خلال التفاعل بين التيارات الفكرية المهيمنة (كالليبرالية والاشتراكية) والمفكرين اليهود الذين شاركوا بدور تأسيس أو نقدي في بلورتها، ففي السياق الليبرالي، قدّم باروخ سبينوزا الأسس العقلانية لنقد السلطة الدينية التقليدية¹، بينما دافع كارل بوبر عن نموذج "المجتمع المفتوح" كحاجز ضد الشموليات²، أما في الجانب الاشتراكي، فقد تجلّت التأثيرات عبر ثنائية كارل ماركس الذي حوّل المادية الجدلية إلى نقد جذري للرأسمالية، وقاد حركات العمال، التي ربطت الصراع الطبقي بالتححرر الشامل³، وهذه المساهمات تكشف عن تعقيد تشكّل المركزية الغربية، حيث انبثقت مقولاتها الأساسية جزئياً من خلال أطروحات قادها مفكرون كانوا من قبل يعيشون في الهامش، لكن مع صعود الحداثة، والعلمانية، أصبح لحضورهم دوراً فاعلاً في صياغة المجتمعات الغربية، فكريا وسياسيا، واقتصاديا، وغير ذلك من التأثيرات التي لا يزال وهجها إلى الآن.

المطلب الثاني: المكون المسيحي:

يُمثل الإرث المسيحي نواةً أساسية في تشكيل البنى الفكرية والاجتماعية للمركزية الغربية، ويمكن القول: إن أثر هذا المكون يسير في اتجاهين متوازيين، فمن ناحية الأثر المباشر، أسهمت العقيدة المسيحية، عبر قرونٍ متطاولةٍ في صياغة رؤيةٍ كونيةٍ فريدةٍ للعالم من وجهة النظر الدينية، فالمسيحية قد تتجاوز كونها ديانة روحية، إلى مشاركتها الفاعلة في النظام الثقافي الديني الغربي، وإن لم تكن كذلك في أصلها، إلا أنها ساهمت في تشكيل الهوية الغربية، ومن ناحية أخرى ظهر أثرها في ردادات الفعل التي كانت حاضرة في الوعي الغربي خلال القرون الأخيرة، كحركات مناوئة للكنيسة في مجالات أخرى مهمة، تم من خلالها صياغة النظام الحضاري الغربي بصورته المادية، وسيتناول هذا المطلب دور هذا المكون من خلال التصورات اللاهوتية، وآثاره في الهوية الغربية، وكذلك دور الكنيسة السلبى، في الإسهام في الحضارة الغربية، وانعكاس هذا الحال على تركز الغرب حول ذاته.

¹ المرجع نفسه، ص 113

² المرجع نفسه، ص 119

³ المرجع نفسه، ص 120

التصورات اللاهوتية:

يُعدُّ مفهوم الخطيئة والخلاص في المسيحية من المفاهيم البارزة في صياغة الرؤية المسيحية للإنسان، وللعالَم، فالخطيئة ليست مقتصرة على آدم (عليه السلام) كما هو في التصور القرآني، بل تتعدى ذلك إلى جنس الإنسان على الأرض، كما ورد في أحد نصوص الرسالة التي بعثها بولس إلى روميه حيث يقول: "وَالْخَطِيئَةُ دَخَلَتْ فِي الْعَالَمِ بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ، وَبِالْخَطِيئَةِ دَخَلَ الْمَوْتُ، وَسَرَى الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ الْبَشَرِ لِأَنَّهُمْ كُلُّهُمْ خَطِيئُوا"¹، ولذا فقد ارتكزت الرؤية المسيحية الغربية للعالَم على مفهوم الخطيئة الأصلية والخلاص، ويُمثل تصوُّر القديس أوغسطين لمبدأ الخطيئة الأصلية، ومسألة الخلاص المعنى الأساس في تشكيل البنية الفكرية للمركزية الغربية، حيث أسس لنموذج لاهوتي تاريخي خاص، فبعد سقوط آدم ^{الخطيئة} -وفق رؤية المسيحية - صار الجنس البشري كله مُثَقَلًا بوراثة الخطيئة الجذرية، مما استلزم تدخلًا إلهيًا عبر (الفداء) لاستعادة النظام الأخلاقي الكوني، وهذا التفسير أنتج رؤية خاصة للإنسان ككائنٍ مُنفصلٍ جوهريًا عن القداسة، ومحكومٍ بصراعٍ وجودي بين (مدينة الأرض) الفاسدة و(مدينة الله) المثالية²، وأصبح هناك مقابلة بين خطيئة الإنسان، وبين هبة الله، "فَخَطِيئَةُ إِنْسَانٍ وَاحِدٍ قَادَتِ الْبَشَرَ إِلَى الْهَلَاكِ، وَأَمَّا هِبَةُ اللَّهِ بَعْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْخَطَايَا، فَقَادَتِ الْبَشَرَ إِلَى الْبَرِّ، فَإِذَا كَانَ الْمَوْتُ بِخَطِيئَةِ إِنْسَانٍ وَاحِدٍ سَادَ الْبَشَرُ بِسَبَبِ ذَلِكَ الْإِنْسَانِ الْوَاحِدِ، فَيَأْتِي الْوَلَى أَنْ تَسُودَ الْحَيَاةُ بِوَاحِدٍ هُوَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ، أُولَئِكَ الَّذِينَ يَنَالُونَ فَيْضَ النِّعَمَةِ وَهِبَةَ الْبَرِّ"³.

لقد حوَّلَ هذا الجدل الثنائي التاريخَ البشري إلى مسارٍ خطيٍّ موجَّهٍ نحو الخلاص الحتمي، مما رسَّخ فكرة التفرد الغربي لاحقًا كحاملٍ لمشروع خلاص للعالَم بأسره، كما أنَّ تركيز أوغسطين على (الهبة الإلهية) المطلقة أسَّس لمنظومة هرمية روحية تُبرر هيمنة المؤسسة الكنسية كوسيط وحيد للخلاص، وهو ما انعكس -عبر التطور التاريخي- على تشكيل هياكل السلطة الغربية المركزية، وهكذا تحوَّلت هذه الإشكالات الكبرى في مسيرة الإنسان، والتي ارتبطت باللاهوت الكنسي، إلى إطارٍ مرجعيٍّ دائمٍ، يُغذي نزعة الغرب لتأويل ذاته بوصفها حارس القيم الكونية المطلقة⁴.

¹ رسالة القديس بولس الرسول إلى كنيسة روميه: 12/5

² أوغسطين، مقدمة قصيرة جدا، هنري تشادويك، ترجمة أحمد محمد الروبي، هندواي للنشر والتوزيع، بريطانيا، الطبعة الأولى: 2016م، ص: 108

³ رسالة القديس بولس الرسول إلى كنيسة روميه: 16/5-17

⁴ أوغسطينوس، مقدمة قصيرة جدا، هنري تشادويك، ترجمة أحمد محمد الروبي، مؤسسة هندواي، وندسور - بريطانيا، الطبعة الأولى: 2016م، ص: 117

كما تُشكل نظرية (السيفين) التي أطلقها البابا جيلاسيوس الأول في سنة 494م¹، امتداداً جوهرياً للثنائية الأوغسطينية بين المدينتين، فقد حوّلت الإطار اللاهوتي إلى هيكل سياسي ديني، أسّس لاستقلالية الكنيسة الغربية وعلوّ شأنها، فبتفريقه بين السلطة المقدسة، والسلطة الملكية، أكد جيلاسيوس أن الكنيسة تحمل الأولوية المطلقة في الشؤون الروحية والأخلاقية، كونها مسؤولة عن السيف الأكبر الموجّه لخلاص البشر، بينما تُمنح الإمبراطورية السيف الأدنى، الخاضع للمراقبة الكنسية²، وهذا التمييز بدوره أنتج شرعنةً فوقيةً لتدخل الكنيسة في السياسة، مُكرّساً انقساماً جذرياً مع النموذج البيزنطي القائم على القيصرية البابوية، حيث مهّدت هذه النظرية، عبر ترسيخها استقلالية المؤسسة البابوية، مما أدى إلى نظام حكمٍ تكون فيه السلطة السياسية والدينية متداخلة، حيث يُنسب الحكم إلى الله، ويكون الحاكم أو المؤسسة الحاكمة ممثلاً عن الإرادة الإلهية، وهذه الحالة تحوّلت لاحقاً إلى ركيزة في تشكيل الهوية السياسية الأوروبية المنفصلة عن الشرق، ووفرت الإطار اللاهوتي الذي غدّى ادعاءات الغرب بامتلاك حق قيادة العالم روحانياً ومادياً، متجذراً في مفهوم الخلاص الكوني، الذي يُبرر المشاريع التوسعية اللاحقة باسم حماية القيم الإنسانية المطلقة³.

ويمكن القول بأن الرؤى اللاهوتية المسيحية، لا سيما أوغسطين في مدينة الله وجيلاسيوس الأول في نظرية السيفين شكلت الأساس الفكري والسياسي للمركزية الغربية، فقد أسست هذه الثنائية سياقاً للخلاص كضرورة لاهوتية إنسانية، بينما رسخت نظرية السيفين التسلسل الهرمي للسلطة الروحية، مما أضفى شرعية على هيمنة الكنيسة الغربية، وهذا التصور أفرز رؤية خطية للتاريخ نحو خلاص كوني، وهو ما مهد الطريق للغرب لتقديم نفسه كحارس للقيم المطلقة ولخلاص البشرية.

¹ تنامي السلطة الزمنية للبابوية في أوائل القرن الرابع عشر وعواقبها، كريم عبد الغنى محمود، المجلة العلمية بكلية الآداب، مصر، العدد 59، 2024م، ص: 907

² المرجع نفسه، ص: 907

³ تنامي السلطة الزمنية للبابوية في أوائل القرن الرابع عشر وعواقبها، كريم عبد الغنى محمود، مرجع سابق، ص: 907

الأثر في الهوية الغربية:

تغلغلت المسيحية في البنية الرمزية التي صاغت الهوية الغربية في تشكيلها التاريخي، متجاوزة دورها الديني إلى كونها نسيجاً حضارياً جامعاً، فمن خلال تفاعل آليات الهيمنة والعقلنة تحولت العقيدة إلى إطار ثقافي مؤسسي، اخترق كافة مستويات الهوية الجماعية من خلال ما يلي:

أولاً: تكوّن الانتماء الغربي حول الإرث المسيحي؛ إذ شكّلت المسيحية أساساً للهوية الغربية الجامعة منذ العصور الوسطى، حيث حولت الكنيسة التنوع الأوروبي إلى كيان ثقافي موحد تحت مظلة "المسيحية اللاتينية"، فمن خلال طقوس مشتركة (كالقداس) ورموز دينية (مثل الصليب)، ومؤسسات جامعية (كالبابوية)، تم اختراق الحدود الإثنية والقبلية لصالح انتماء فوق قومي، حتى أن الصراع ضد "الآخر" الإسلامي في الحروب الصليبية وحروب الاسترداد الإسبانية -على سبيل المثال- صاغ وعياً جمعياً غربياً قائماً على ثنائية (نحن/هم) معتمداً على المسيحية كإطار مرجعي، وهذه الديناميكية حولت الدين إلى محدّد جيوسياسي للغرب، قبل أن تتحول لاحقاً إلى "حضارة مسيحية" في خطابات عصر التنوير¹.

ثانياً: تسرّب التعاليم المسيحية إلى الثقافة والتعليم، فقد تغلغلت القيم المسيحية في البنى الثقافية والتعليمية الغربية عبر آليات متعددة، فمن ناحية، حافظت الجامعات الأوروبية المبكرة (كالسوربون وأوكسفورد) على المناهج اللاهوتية كجوهر للمعرفة، ومن ناحية أخرى، صاغت مفاهيم مثل الخطيئة الأصلية، والفداء، الرؤية الغربية للذات والإنسان، كما يظهر في الأدب من الكوميديا الإلهية لدانتى، إلى روايات دستوفسكي، حتى العلمانية الحديثة بحسب تشارلز تايلور لم تقطع مع الموروث المسيحي، بل أعادت تدوير قيمه، كالفردية والضمير الأخلاقي في قوالب عقلانية، وهكذا أصبحت المسيحية محركاً يغذي الهوية الغربية حتى عند تغييب مرجعيتها الصريحة².

ثالثاً: الدور الرمزي للمسيحية في الخطاب الثقافي-السياسي؛ إذ ظلّت المسيحية إطاراً رمزياً مهيماً في تشكيل الخطاب السياسي والثقافي الغربي، رغم تراجع سلطة الكنيسة المباشرة، فمفاهيم مثل: العهد والخلاص الجماعي، انتقلت من اللاهوت إلى الفلسفة السياسية، كما في نظريات العقد الاجتماعي عند هوبز ولوك التي صاغت فكرة الدولة المخلصة، وبحسب كارل شميت فإن ثنائية

¹ حركة الاسترداد الإسبانية الريكونيست، قراءة في المصطلح والمضمون، قاسم سعدون الحسيني، دورية كان التاريخية، السنة الثالثة عشر، العدد السابع والأربعون، 2020م، ص72

² عصر علماني، تشارلز تايلور، ترجمة: نوفل الحاج لطيف، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى: 2020م، ص717 - 720

(خير/شر) استمرت في الخطاب السياسي الغربي الحديث¹، حتى المشاريع الاستعمارية والحدثية تبنت صيغة رسالة تحضير تُحاكي البعثات التبشيرية، كما يُظهر إدوارد سعيد، وهكذا تحولت المسيحية إلى لغة كبرى، تُستدعى لشرعنة الهيمنة أو مقاومتها، حافظتها حضورها كمركز ثقافيٍّ مؤسسٍ للغرب².

دور الكنيسة السلبى:

لئن كانت التصورات العقيدية واللاهوتية في الدين المسيحي، تحوي داخلها ما يبرر صعود هذا المكون باعتباره البنية الدينية والثقافية التي شكّلت هوية الغرب في كثير من مجالاتها، إلا أن هناك دور آخر للكنيسة ليس في سياقها التعبوي المباشر، بل في الموقف المضاد لها، في تاريخ الفكر الغربي، فمع مرور القرون، تحولت المسيحية من عقيدة إلى نظام اجتماعي مهيم من خلال الكنيسة، كجهاز هيمنة شاملة باحتكارها التعليم من خلال الاحتكار المعرفي، ففرضت تفسير موحد للنصوص الدينية والعلمية، ومنعت تداول الأفكار المخالفة، ومن خلال الضبط الأخلاقي من خلال تطوير آليات كنظام الاعتراف والمحظورات، لمراقبة السلوك الفردي والجماعي، حيث حوّلت آليات العنف مثل محاكم التفتيش الإيمان إلى أداة لضبط الوعي الجمعي³، ولكن الحال لم يستمر كما أراد ممثلو الكنيسة، فقد أخذت الأمور منحى آخر، تتجلى فيه محاولات جادة للتغيير، وإن كانت متعثرة في بداياتها، إلا أنها كانت تقوى مع مرور الوقت، وأصبحت قوى مجتمعية فاعلة في مواجهة طغيان الكنيسة، واستمرت في التطور حتى ظهرت سياقات أخرى تنافس الكنيسة، وتهدد تأثيرها المجتمعي، بل تهدد عقائدها من الأساس، كما هو الحال في تشكّل الوعي الغربي، إبان عصر النهضة، وعصر التنوير، والمدارس الفكرية في القرن التاسع عشر، وما تلاه من النظريات العلمية التي انفصلت تماما عن الكنيسة، ودخل القرن العشرون، والحالة الغربية في كثير من المجالات منفصلة تماما عن الكنيسة، وهنا يظهر دور الكنيسة لا بما قدمته، بل بما فرضته من قيود دفعت العقل الأوروبي إلى البحث عن منافذ وسياقات أخرى، وكان "الاتجاه المقابل هو الإيمان بالمحسوس وبالمادة، وطرح الدين جانبا، والكفر بمبادئه وبالغيبات والعقائد التي يدعو إليها، وكان رد الفعل قويا وعنيفا أطاح بكل ما هو مقدس، وانطلق

¹ اللاهوت السياسي، كارل شميت، ترجمة رانية الساحلي، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، الطبعة الأولى: 2018م، ص113

² الثقافة والإمبريالية، إدوارد سعيد، ترجمة كمال أبديب، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الرابعة: 2014م، ص 9 - 12

³ محاكم التفتيش، رمسيس عوض، دار الهلال، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى: 2001م، ص: 45-46

الأوروبي إلى العلم المادي الذي لا يرى في الوجود إلا المادة، ولا يرى تفسيراً لشئون الحياة وأموها إلا التفسير المادي"¹.

وقد انعكس هذا التحول بصورة جذرية على الحضارة الغربية، إذ لم يقتصر أثره على المجال الفكري أو الديني، بل امتد ليعيد تشكيل البنية الكاملة للوعي الأوروبي، ومعه مجمل أنماط الحياة والمؤسسات، فالتحرر من هيمنة الكنيسة فتح الباب أمام تأسيس مناهج جديدة للبحث العلمي، تقوم على الملاحظة والتجريب بدلاً من التسليم بالنصوص الدينية، ومع انفتاح العقل الأوروبي على الطبيعة باعتبارها مجالاً للاكتشاف والتجربة، نشأت العلوم الحديثة كالفيزياء والفلك والرياضيات والطب في سياق تحرري، سرعان ما غير علاقة الإنسان بعالمه، ورسخ فكرة السيطرة على الطبيعة وتسخيرها، وسيتناول المكون العلماني هذا الدور السلبي للكنيسة بصورة أوسع في المبحث الثالث.

وبناءً على ما سبق، ومن خلال استعراض دور المكون اليهودي والمكون المسيحي، يتضح أن الجذور العقيدية أسهمت في تأسيس المركزية الغربية عبر ترسيخ تصورات الاصطفاء والتفوق ومركزية الذات. فقد مثلت عقيدة الاختيار في الوعي اليهودي أحد المرتكزات الأولى لفكرة التمايز، في حين أسهمت المسيحية في توسيع هذا المعنى وإعادة توجيهه ضمن أفق رسالي وتاريخي أوسع، بما مهد لتحوّل هذه التصورات إلى عناصر فاعلة في الوعي الحضاري الغربي.

مع تراجع الحضور المباشر للدين في المجال العام الغربي، أُعيد إنتاج كثير من التصورات العقيدية في صيغ فكرية حديثة، كان لها دور حاسم في ترسيخ المركزية الغربية، ومن هنا، ينتقل البحث إلى دراسة دور الجذور الفكرية، من خلال الوقوف على إسهام العلمانية والنزعة العرقية في إعادة صياغة الوعي المركزي وتكريسه في الفكر والممارسة.

¹ أثر الكنيسة على الفكر الأوروبي، أحمد علي عجيبة، دار الآفاق العربية، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى: 2004م، ص120

المبحث الثالث: دور الجنود الفكرية للمركزية الغربية

أسهمت التحولات الفكرية الحديثة في ترسيخ المركزية الغربية عبر إعادة تشكيل تصورات التفوق والتمركز في صيغ جديدة، وقد تجلّى ذلك في بروز المكوّن العلماني، الذي أعاد تأطير المركزية ضمن أطر فكرية وقيمية حديثة، وفي المكوّن العرقي، الذي أسهم في تكريس التفاضل الحضاري وإقصاء الآخر، وذلك للوقوف على دور هذين المكوّنين في ترسيخ المركزية الغربية في سياقها الفكري الحديث.

المطلب الأول: المكون العلماني:

في سياق الحديث عن المكون الثقافي للمركزية الغربية، تبرز العلمانية كأوضح صورة ممكن رؤيتها في هذا السياق الحضاري، فالعلمانية تُعدّ ركيزةً أساسية في التجربة الغربية، والتي كانت نتيجة طبيعية للانفصال عن الدين، عبر تاريخ من الجدل والمناكفات، أوصلت المجتمع الغربي على كافة مستوياته، إلى انفصال المؤسسات السياسية والاجتماعية عن الهيمنة الدينية، وصعود العقل والتجربة الحسية إلى مرجعيات معرفية أخرى، مع إعادة تشكيلات جذرية لمفاهيم الفردية والأخلاق والسيادة القانونية.

الفصل بين الدين والدولة:

نشأت فكرة علمانية الدولة كرد فعل تراكمي، استمر قرون من هيمنة الكنيسة الكاثوليكية على الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية في أوروبا، وما نتج عنها من حروب دينية طاحنة، واضطهاد فكري، وقدم الفلاسفة دوراً كبيراً في هذا التحرر من قيود الكنيسة ومنهم فلاسفة العقد الاجتماعي، ولا سيما توماس هوبز في كتابه (اللفيathan) 1651م، وجون لوك في (رسالتان في الحكم المدني) 1689م، الأسس النظرية الحاسمة، وجادل توماس هوبز بأن الغاية الأساسية للدولة (اللفيathan) هي ضمان الأمن والنظام، وهي وظيفة دنيوية بحتة لا علاقة لها بالخلاص الديني، لأن الدين ينبع من داخل الإنسان وحده "فلا وجود لعلامات ولا ثمار للدين إلا في الإنسان وحده، ولا سبب يدعونا للشك في أن بذرة الدين هي أيضاً موجودة في الإنسان فقط، وهي تقوم على صفة مميزة، أو على الأقل على درجة عالية من هذه الصفة، لا وجود لها في المخلوقات الحية الأخرى"¹، بينما يؤكد جون لوك بشكل أكثر وضوحاً فيما يتعلق بالتسامح، على ضرورة فصل مجال السلطة المدنية المعنية بحماية الحياة والحرية والملكية عن مجال الضمير الديني المعني بالخلاص، معتبراً أن إجبار

¹ اللفيathan، الأصول الطبيعية والسياسية لسلطة الدولة، توماس هوبز، ترجمة: ديانا حرب، دار الفارابي للنشر والتوزيع، بيروت - لبنان،

الناس على اعتناق دين معين، أو ممارسة طقوسه هو انتهاك للحقوق الطبيعية، وانتهاك لهدف الدولة ذاته، وقد كانت كتابات جون لوك، بمثابة الإطار الذي يؤسس للدولة التي تضمن حريات الناس، والسلم الاجتماعي¹.

ومن هذا المنطلق، يتضح للناظر أن الفصل بين الدين والدولة في التجربة الغربية لم يكن حدثاً معزولاً، بل كان عملية تاريخية معقدة تنامت من خلال أسس فلسفية (العقد الاجتماعي، السيادة، الحقوق الطبيعية) ودفعت لتقييد دور الدين في المجال العام، ونتج عن ذلك تحويل الدين من مرجعية شمولية ملزمة إلى شأن خاص، وبناء مؤسسات مستقلة تماماً عن السيطرة الدينية المباشرة، معترفة بسيادة الإنسان في تنظيم شؤونه الدنيوية.

القيم الفردية والحقوق:

وإذا كانت الدولة قد تحررت -فيما سبق- من الدين والمعرفة المستمدة من الوحي، فإن الفرد قد تحرر كذلك من الهوية الجماعية التقليدية، والتي غالباً ما كانت دينية أو طبقية جامدة، ويضعه في المركز²، وبرزت مسألة الفرد ككيان مستقل، يتمتع بحقوق طبيعية غير قابلة للتصرف، كمرجعية عليا في الفلسفة السياسية والأخلاقية وفي الأنظمة القانونية.

ومع تراجع الدين كمصدر للمعرفة والسياسة، برز السؤال الملح عن أساس الأخلاق والقيم في المجتمع العلماني، وهنا سعت الفلسفة الأخلاقية الحديثة إلى تأسيس الأخلاق على أسس عقلانية وإنسانية، بعيداً عن الوحي الديني أو العقاب والثواب الأخروي، وقدم إيمانويل كانت حلاً لهذه المعضلة من خلال ما يُسمّى بالواجب، والأمر القطعي، الذي يستمد إلزاميته من العقل العملي نفسه: "لا تفعل الفعل إلا بما يتفق مع المسلمة التي تمكّنك في نفس الوقت من أن تريد لها أن تصبح قانوناً عاماً"³.

وقد حاولت نظريات العقد الاجتماعي استنباط المبادئ الأخلاقية من اتفاق افتراضي بين أفراد عقلانيين، ورغم اختلاف الأسس، فقد اتفقت هذه المحاولات على إمكانية وجود أخلاق موضوعية وقابلة للتبرير عقلياً دون الحاجة إلى مرجعية دينية متعالية، بحيث تركز على مفاهيم مثل العدالة، والمنفعة العامة، والاستقلالية، والكرامة الإنسانية المتأصلة، وهذه موجودة في الشعب نفسه، لكنه يحتاج أن يتفق عليها، "فقبل أن نتناول التصرف الذي قد يختار الشعب ملكه بمقتضاه، قد يكون من

¹ في الحكم المدني، جون لوك، ترجمة: ماجد فخري، اللجنة الدولية لترجمة الورائع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى: 1959م، ص69

² مفهوم الحرية، عبد الله العروي، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الخامسة، 1993م ص45 - 46

³ تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، إيمانويل كانت، ترجمة عبد الغفار مكاي، منشورات الجمل، كولونيا - ألمانيا، الطبعة الأولى: 2002م، ص93

الأفضل أن نبحث في التصرف الذي تُكوّن الشعبُ بمقتضاه، لأنه بالضرورة يسبق الآخر، وهو الأساس الصحيح الذي تقوم عليه جميع المجتمعات"¹، وبالتالي فإن هذا البحث سيؤدي إلى الاتفاق الطبيعي بين هؤلاء الأفراد على الأفضل، لإدارة المجتمع دون الحاجة إلى مرجعية أخرى متجاوزة.

ودور الدولة هو حماية حقوق الأفراد، والسيادة التي تتصرف من خلالها قد تمت باتفاقات معينة، ومحددة سلفاً، من الأفراد أنفسهم، وليست سيادة تستمد شرعيتها من الوحي الملزم، ومن ثم فإن هذه السيادة للدولة تنعكس على حماية الحقوق الفردية، والعامّة، "فالسلطة السيادية رغم كونها مطلقة تماماً، ومقدسة تماماً، ولا تُنقض أبداً، فإنها لا تتعدى، ولا يمكن أن تتعدى حدود الاتفاقات العامة، وأن كل فرد يستطيع أن يتصرف تصرفاً كاملاً، فيما تُرك له من ممتلكات وحرية بمقتضى هذه الاتفاقات"².

ومن خلال ما سبق يتكشف لنا التتويج النظري، والمؤسسي للعلمانية في المجال القيمي والسياسي، فقد أدى تحرير الفرد من الهويات الجماعية التقليدية الدينية إلى صعوده كمرجعية عليا، حاملاً حقوقاً طبيعية، وتمت إعادة تأسيس الأخلاق على قواعد عقلانية وإنسانية، مستقلة عن الوحي الديني، وأخيراً، نشأت الدولة الحديثة ككيان سياسي وضعي بحث، تستمد شرعيتها ووظيفتها من عقد افتراضي بين أفراد أحرار، ملتزمة بحماية حقوقهم وتحقيق مصالحهم الدنيوية، وليس كتعبير عن إرادة إلهية أو وكيل عن سلطة دينية.

ويمكن القول بأن التحوّل العلماني يمثل نقلةً جذريةً في تشكيل المركزية الغربية، حيث انتقلت السلطة من المقدس إلى البشري عبر ثلاث مرتكزات أساسية: تفكيك الهيمنة الدينية عبر فصل الكنيسة عن الدولة فلسفياً ومؤسسياً، وكذلك إحلال العقل والتجربة محل الوحي كمصدر وحيد للمعرفة، مما أنتج تيارات فكرية بديلة، ثم إعادة صياغة النسق القيمي حول الفرد كمرجعيةٍ عليا للأخلاق والقانون، مؤسساً لدولةً حديثة قائمةً على الشرعية الوضعية، وقد شكّل هذا الثلاثي تحوّلًا في البناء الحضاري الغربي، جعل العلمانية سمةً مميزةً للحضارة الغربية.

¹ العقد الاجتماعي، جان جاك روسو، ديفيد هيوم، جون لوك، ترجمة: عبد الكريم أحمد، آفاق للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى: 2022م، ص106

² المرجع نفسه، ص133

المطلب الثاني: المكون العرقي:

يُعدّ المكون العرقي أحد أكثر المكونات رسوخاً في بنية التمرکز الغربي، إذ لم يقتصر دوره على تحديد الفوارق بين الشعوب، بل تحول إلى أداة فكرية وثقافية أساسية في بناء الوعي الغربي بذاته وبالأخر، فقد اتُخذ العرق أساساً للهوية الحضارية، يُقاس به التفوق والتأخر، وتُرسّم على ضوءه مراتب الأمم ودرجات إنسانيتها، ومن خلال هذا المنظور العرقي، تشكّل الوعي الذاتي الغربي في مقابل الآخر غير الأوروبي، بوصفه كائنًا أدنى يحتاج إلى الإخضاع، كما امتدت هذه الرؤية إلى الفكر والسياسة، فانعكست في النظريات الاجتماعية والاستعمارية التي برزت التوسع والسيطرة باسم التمددين والتقدم، وهكذا غدا العرق إطاراً مرجعياً عميق التأثير في تشكيل التصور الغربي للعالم، وفي ترسيخ مركزية الذات الأوروبية.

العرق كأساس للهوية الحضارية:

ظهرت الخطابات العلمية المتعلقة بتصنيف الأعراق بشكل منهجي خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وقد تجسدت هذه الظاهرة من خلال تلك المحاولات التي قادها علماء طبيعويون لتصنيف البشر إلى أجناس بناءً على سمات جسمانية، كلون البشرة وقحف الجمجمة وغيرها، حيث بلغت ذروتها مع تنظيرات جوزيف آرثر دي غوبينو حول تسلسل هرمي عرقي ثابت، مُتوجاً الجنس الآري - الذي يسكن الشمال الغربي من أوروبا - قمته بوصفه المحرك للحضارة، وقد تزامن ذلك مع استغلال لنظرية تشارلز داروين في الانتخاب الطبيعي، حيث وظّفت الداروينية الاجتماعية، كمسوغ لترسيخ التفاوت الحضاري عبر ادعاءاتٍ عن تباين القيمة البيولوجية وتنافس الأجناس، واكتمال الإنسان في العرق الأبيض¹.

وقد تشكّلت البنى العرقية الحديثة عبر تفاعلات معينة، بين العلاقات الاقتصادية الاستعمارية كاستعباد الأفارقة، وإقصاء السكان الأصليين، وبين الأسس الأيديولوجية التي صوّرت هذه المسارات كنتيجة حتمية، لخصائص فطرية، "فالعرق كمنظومة يتألف من فئات مثل البيض، والسود، والآسيويين، وما إلى ذلك، يُفترض فيها أن يكون لون البشرة، وملامح الوجه والشعر، واللغة ... إلخ، علاماتٍ طبيعية تدل على الأصل، ومثل هذه العلامات في ذاتها ليست عرقاً؛ فالعرق هو فكرة أن تلك العلامات تدل على أصلٍ ما يرتبط بسماتٍ فطرية معينة"²، وقد تَمَثَّل التجسيد الأيديولوجي لهذه العملية

¹ العرق والتاريخ، كلود ليفي شتراوس، مرجع سابق، ص 18

² الأعراق البشرية، آلان إتش جودمان، يولانداتي تي موزيس، وجوزيف إل جوبز، ترجمة شيماء طه، مؤسسة هندواي، الطبعة الأولى: 2019م، ص 325

في اعتماد نموذج أحادي للتمدن، جُعِلَتْ فيه أوروبا، معياراً مطلقاً للتقدم الحضاري، فَصُوِّرَتْ إنجازاتها في المجالات العلمية والفنية والسياسية، كدليل على العبقرية العرقية الأوروبية الفطرية.

ولم تبقَ هذه الأفكار حبيسة الكتب، بل تحولت إلى ممارسات في الواقع، وتبنت أقسام الأنثروبولوجيا الفيزيائية والإثنولوجيا في الجامعات الأوروبية والأمريكية مهمة قياس الجمجم، "حيث أكد المنادون بتعدد الأصول على وجه التحديد أن القدرة الإدراكية موزعة على نحو متساوٍ بين الأعراق، وكانت الوسيلة الأساسية لتحديد هذه الاختلافات هي قياسُ القحف؛ أي قياس حجم الجمجمة، وعلى نحو متوقع، ذكر المنادون بتعدد الأصول أن الأوروبيين، والبيض الأمريكيين كانوا يُسمون بحجم جمجمة، أكبر، وقدرة قحفية/ إدراكية أكبر مقارنة بالأمريكيين الأصليين، والأمريكيين الأفارقة"¹، وعلى ضوء هذه الممارسات، تم إنشاء المتاحف لعرض الأنواع البشرية، والبدائين كدليل على مراحل التطور الأدنى، وبلغ الأمر ذروته في معارض استعمارية عالمية، حيث عُرض البشر من مستعمرات إفريقيا وآسيا في قرى زنجية مُعاد إنشاؤها، لتقديمهم كعروض حية، على درجات السلم الحضاري والعرق الأدنى، وتسليية الجمهور وتأكيد تفوقه.

ويكشف ذلك عن كيفية تحول مفهوم العرق البيولوجي إلى حجر أساس في تعريف الهوية الحضارية الغربية، من خلال نظريات تم صكها في الفضاء العلمي، جعلت أوروبا معياراً وحيداً للتقدم، وربط هذه الأفكار في مراكز المعرفة، وتم بناء سردية وضعت الجنس الأبيض في قمة هرم إنساني ثابت، وهذه السردية لم تكن بريئة، بل هيأت الأرضية الفكرية لترسيخ الوعي الذاتي الغربي ككيان متفرد ومتفوق.

العرق والوعي الذاتي الغربي:

لقد ساهمت نظريات العرق بشكل حاسم في صياغة الهوية الذاتية للغرب الأوروبي، وتم تعريف الغرب، ليس فقط جغرافياً أو ثقافياً، بل عرقياً بالأساس، وقد كان لنظرية التطور حضورها القوي في تأكيد هذا السياق، ويؤكد الدكتور عبد الوهاب المسيري على هذه القضية بقوله: "الفكر العرقي هو الآخر فكر تطوري، إذ يرى أن الإنسان الأبيض هو آخر حلقات التطور وأعلىها"²، وجراء هذه الدعوى، نُسجت أسطورة الأصل الآري، أو النوردي، النقي الذي يُفترض أنه مصدر كل فضيلة وقوة وحضارة، وتم تجاهل التنوع الإثني والثقافي الهائل داخل أوروبا نفسها كالسلاف، واللاتين، إلخ، وتم تصوير التاريخ الأوروبي كقصة تقدم مستمرة تقوده الشعوب الجرمانية، الأكثر نقاءً، وهذا التصور

¹ المرجع نفسه، ص 70

² الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ، عبد الوهاب المسيري، دار الشروق، القاهرة - مصر، الطبعة الثالثة، 2001م، ص 158

عن النقاء العرقي أصبح عنصراً جوهرياً في القوميات الأوروبية الناشئة، حيث ارتبطت الهوية الوطنية ارتباطاً وثيقاً بفكرة الدم المشترك والصفات العرقية الموروثة.

ولتعزيز مركزية الغرب، تم دمج عنصر العرق مع عناصر الدين والثقافة في مسار واحد، وتم تقديم المسيحية البروتستانتية، كعلامة على التفوق العرقي والروحي للشعوب التي اعتنقتها، وتم تفسير انتشار المسيحية والقيم كدليل على تفوق العرق الأبيض الحامل لها، وبالمثل، تم تصوير الثقافة الأوروبية الفن، الأدب، الفلسفة، النظام السياسي كنتاج حصري للعرقية الآرية، وليس كنتاج لتفاعل وتأثر حضاري، مع العالم الإسلامي أو آسيا أو إفريقيا عبر التاريخ، وهذا الدمج العضوي بين العرق والدين والثقافة أوجد هوية غربية منغلقة ومتمردة، اعتبرت نفسها صاحبة الحق الطبيعي والتاريخي في قيادة العالم وفرض قيمها على الآخرين.

لقد كانت الدعاوى العنصرية بمثابة الذرائع الأيديولوجية الرئيسية لتبرير الاستعمار الغربي، وتم احتلال أراضي الآخرين واستغلال مواردهم وإخضاع شعوبهم كمحاولة لجعل هذه البلاد والشعوب متحضرة، وأن الغرب يقوم بواجب أخلاقي للجنس الأبيض المتفوق تجاه الأجناس المتخلفة.

كما ارتبط صعود القوميات المتطرفة في أوروبا ارتباطاً عضوياً بالنزعة العرقية، ولم تكن القومية مجرد حب للوطن، بل تحولت إلى أيديولوجيات تفوق عرقي، ففي نهاية القرن التاسع عشر، وبدايات القرن العشرين، كان حضور القوميات العرقية لافتاً للنظر في الجانب السياسي، وبرزت تطالب "بتكوين دولة مستقلة لجماعة وطنية محددة المعالم، حيث تزايدت في تلك الفترة، بصورة مشهودة أعداد تلك الحركات، أو على الأقل، القيادات التي كانت تدعي أنها تنطق باسمها، وتعاظمت أهميتها السياسية"¹، ففي ألمانيا، روجت حركة الفولكيش لفكرة الشعب الألماني الفولك ككيان عرقي عضوي نقي، متفوق على جيرانه، خاصة السلاف، وفي فرنسا، ظهرت كتابات مثل كتاب إدوارد درومون (فرنسا اليهودية) توضح كراهية الأجانب والأقليات خاصة اليهود، باسم حماية العرق والهوية الفرنسية، وفي إيطاليا الفاشية وبريطانيا، ظهرت خطابات تؤكد على تفوق العرق اللاتيني أو الجرمانني، هذه الحركات ربطت بشكل وثيق بين الهوية القومية والنقاء العرقي المزعوم، معتبرة الأقليات داخل الدولة تهديداً لصحة ووحدانية الأمة العرقية، مما مهد الطريق لسياسات التطهير والاضطهاد².

¹ عصر الإمبراطورية، إريك هوبزباوم، ترجمة: فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى: 2011م، ص281

² المرجع نفسه، ص307 - 310

وعلى الرغم من شعارات الحرية والمساواة التي رفعها الفكر الليبرالي، فقد كان مقيداً في تطبيقه بحدود عرقية صارمة، وكثير من المنظرين الليبراليين الكلاسيكيين، الذين دافعوا عن حقوق الإنسان والمواطن داخل أوروبا، استثنوا -في كثير من الأحيان- الشعوب غير الأوروبية من دائرة هذه الحقوق، فقد اعتبر جون ستيوارت ميل أن مبدأ الحرية لا ينطبق إلا على البشر في مرحلة النضج، فهو يرى أن المذهب الليبرالي، "يطبق على بني البشر فقط في مرحلة نضج قابليتهم... أما هؤلاء الذين ما زالوا في حالة تتطلب رعايتهم من قبل الآخرين، فيجب حمايتهم من أعمالهم الشخصية، ناهيك عن حمايتهم من الأذى الخارجي"¹، وهنا تبرز العنصرية في أجلى صورها، فالفكر الليبرالي الغربي الكلاسيكي بنفسه، لم يكن بمعزل عن البنية العنصرية والعرقية التي حكمت الوعي الأوروبي الحديث، فعلى الرغم من رفعه شعارات الحرية والمساواة، إلا أن تطبيق هذه المبادئ خضع لتقسيم عنصري ضمني يقوم على التمييز بين الإنسان الأوروبي المتحضر، والآخر غير الأوروبي المتخلف، وهذا التمييز لم يكن مجرد موقف ثقافي، بل تعبير عن رؤية عنصرية متجذرة ترى في العرق الأبيض النموذج الأعلى للإنسانية والعقلانية، وفي الشعوب الأخرى مراحل دنيا من النضج الإنساني.

وبناءً على ما سبق، يتضح أن الجذور الفكرية أسهمت بفاعلية في ترسيخ المركزية الغربية عبر إعادة إنتاج تصورات التفوق والتمركز في صيغ حديثة، فقد عمل المكون العلماني على نزع هذه التصورات من إطارها الديني وإعادة تأطيرها ضمن مرجعيات عقلانية وقيمية، في حين أسهم المكون العرقي في تكريس منطق التفاضل الحضاري وإقصاء الآخر، وبذلك، غدت المركزية الغربية أكثر رسوخاً في الفكر والممارسة، بوصفها بنية فكرية حديثة تستند إلى أسس غير دينية ظاهرياً، لكنها تحمل في عمقها منطق التمرکز ذاته.

¹ عن الحرية، جون ستيوارت ميل، ترجمة: هيثم كامل الزبيدي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، بدون سنة طبع، ص16، 15.

الخاتمة:

لقد سعى هذا البحث إلى دراسة المكون الديني والثقافي في تأسيس المركزية الغربية، من خلال ضبط مفهوميها وسماتها العامة، ثم بيان دور جذورها العقيدية والفكرية في تشكيل الوعي الغربي بذاته وبالأخر. وقد بين البحث أن المركزية الغربية لا تقوم على عوامل مادية فحسب، بل تستند إلى بنية فكرية مترابطة، أسهمت فيها تصورات عقيدية عن الاصطفاء والتفوق، ثم أُعيد إنتاجها في صيغ فكرية حديثة.

وقد أظهر البحث أن الجذور العقيدية، ممثلة في المكونين اليهودي والمسيحي، أسهمت في تأسيس وعي التمايز ومركزية الذات، بينما عملت الجذور الفكرية، ولا سيما العلمانية والنزعة العرقية، على إعادة صياغة هذا الوعي وترسيخه في السياق الغربي الحديث، بما منح المركزية الغربية طابعاً أكثر رسوخاً واستمرارية.

نتائج البحث:

وفي ضوء ما سبق، خلص البحث إلى جملة من النتائج، يمكن إجمالها في الآتي:

أولاً: المركزية الغربية ظاهرة فكرية وحضارية مركبة، تتجلى في فريدة التاريخ الغربي، ونزعة الهيمنة، وتقديم الحضارة الغربية بوصفها معيار العقل والتقدم.

ثانياً: أسهمت الجذور العقيدية، عبر المكونين اليهودي والمسيحي، في تأسيس تصورات الاصطفاء والتفوق التي قامت عليها المركزية الغربية في مراحلها الأولى.

ثالثاً: جرى إعادة إنتاج هذه التصورات العقيدية في صيغ فكرية حديثة، ما أسهم في انتقالها من إطار ديني خاص إلى وعي حضاري عام.

رابعاً: لعبت العلمانية والنزعة العرقية دوراً محورياً في ترسيخ المركزية الغربية، من خلال إعادة تأطير منطق التمركز والتفاضل في أطر عقلانية وقومية حديثة.

التوصيات:

1. توجيه دراسات المركزية الغربية نحو تحليل جذورها العقيدية والفكرية التأسيسية، وعدم الاكتفاء بتناول مظاهرها السياسية أو الحقوقية المتأخرة.

2. ضرورة إعادة قراءة مفاهيم الحداثة والعلمانية في الفكر الغربي قراءة نقدية تكشف دورها في إعادة إنتاج منطق التمركز والتفوق بصيغ فكرية حديثة.

قائمة المراجع

1. القرآن الكريم
2. رسالة بولس إلى أهل رومية الإصحاح 5
3. سفر التثنية، الإصحاح 14
4. سفر التكوين، الإصحاح 21
5. سفر الخروج الإصحاح 19
6. إبراهيم، عبد الله. المركزية الغربية: إشكالية التكوّن والتمركز حول الذات. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، الطبعة الأولى، 1997م.
7. أمين، سمير. نحو نظرية للثقافة: نقد التمرکز الأوروبي والتمرکز الأوروبي المعكوس. معهد الإنماء العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1989م.
8. البازعي، سعد. المكوّن اليهودي في الحضارة الغربية. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، الطبعة الأولى، 2007م.
9. بيكون، فرانسيس. الأورجانون الجديد. ترجمة عادل مصطفى، مؤسسة هنداوي، بريطانيا، الطبعة الأولى، 2018م.
10. بو عزة، الطيب. في دلالة الفلسفة وسؤال النشأة. نماء للبحوث والدراسات، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، 2021م.
11. تشادويك، هنري. أوغسطين: مقدمة قصيرة جداً. ترجمة أحمد محمد الروبي، مؤسسة هنداوي، وندسور - بريطانيا، الطبعة الأولى، 2016م.
12. تايلور، تشارلز. عصر علماني. ترجمة نوفل الحاج لطيف، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 2020م.
13. ديكارت، رينيه. تأملات في الفلسفة الأولى. ترجمة عثمان أمين، آفاق للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، 2020م.
14. روسو، جان جاك. العقد الاجتماعي. ترجمة عبد الكريم أحمد، آفاق للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، 2022م.
15. ساند، شلومو. اختراع الشعب اليهودي. ترجمة سعيد عياش، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، الطبعة الأولى، 2001م.

16. شتراوس، كلود ليفي. العرق والتاريخ. ترجمة سليم حداد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، 1988م.
17. شميت، كارل. اللاهوت السياسي. ترجمة رانية الساحلي، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، الطبعة الأولى، 2018م.
18. شيخاوي، لخضر. نقد كونية المركزية الغربية. مجلة التدوين، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، المجلد الثاني عشر، العدد الثاني، 2020م.
19. العروي، عبد الله. مفهوم الحرية. المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الخامسة، 1993م.
20. الغامدي، عبد الله بن عبد اللطيف. المركزية الغربية وتناقضاتها مع حقوق الإنسان. مركز تأصيل للدراسات والبحوث، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1435هـ/2014م.
21. عوض، رمسيس. محاكم التفتيش. دار الهلال، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، 2001م.
22. عجيب، أحمد علي. أثر الكنيسة على الفكر الأوروبي. دار الآفاق العربية، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، 2004م.
23. كانط، إيمانويل. تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق. ترجمة عبد الغفار مكاوي، منشورات الجمل، كولونيا - ألمانيا، الطبعة الأولى، 2002م.
24. لوك، جون. في الحكم المدني. ترجمة ماجد فخري، اللجنة الدولية لترجمة الروائع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1959م.
25. ميل، جون ستيوارت. عن الحرية. ترجمة هيثم كامل الزبيدي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، بدون سنة طبع.
26. المسيري، عبد الوهاب. الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان. دار الفكر، دمشق - سوريا، الطبعة السابعة، 2018م.
27. المسيري، عبد الوهاب. الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ. دار الشروق، القاهرة - مصر، الطبعة الثالثة، 2001م.
28. هوبز، توماس. اللفيثان: الأصول الطبيعية والسياسية لسلطة الدولة. ترجمة ديانا حرب، دار الفارابي للنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 2011م.

29. هوبزباوم، إريك. عصر الإمبراطورية. ترجمة فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 2011م.
30. ابن كثير، إسماعيل بن عمر. تفسير القرآن العظيم. تحقيق عادل بن يوسف العزازي، المكتبة الإسلامية، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، 1438هـ.
31. جودمان، آلان إتش؛ موزيس، يولانداتي تي؛ جوبز، جوزيف إل. الأعراق البشرية. ترجمة شيماء طه، مؤسسة هنداوي، الطبعة الأولى، 2019م.
32. جران، بيتر. ما بعد المركزية الأوروبية. ترجمة عاطف أحمد، إبراهيم فتحي، محمود ماجد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، 1998م.
33. رويس، مرزوق بن مطلق. فلسفة التحول والانتقال إلى النظام العالمي الجديد. فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1442هـ.
34. محمود، كريم عبد الغني. تنامي السلطة الزمنية للبابوية في أوائل القرن الرابع عشر وعواقبها. المجلة العلمية بكلية الآداب، مصر، العدد 59، 2024م.
35. الحسيني، قاسم سعدون. حركة الاسترداد الإسبانية (الريكونكيستا): قراءة في المصطلح والمضمون. دورية كان التاريخية، السنة الثالثة عشرة، العدد السابع والأربعون، 2020م.



مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة دولية شهرية علمية محكمة

الترقيم الدولي الإلكتروني: ISSN:2410- 521X

الترقيم الدولي الورقي: ISSN:2410- 1818

البريد الإلكتروني: journal@andalusuniv.net

المجلة مفهرسة في المواقع الآتية :



2025	2024	2023	2022	2021	العام
0.5978	0.3068	0.3759	0.1954	0.2692	معامل أرسيف
1.59	1.55	1.25	1.73	1.60	معامل التأثير العربي